

حوار مع إذاعة طهران

أجرت إذاعة طهران حواراً على الهواء مع سماحة العلامة الشيخ عبد المنعم الزين بمناسبة مولد الإمام الحسن المجتبي كريم أهل البيت عليهم السلام، وقد تناول عدة نقاط هامة من حياة الإمام الحسن عليه السلام ضمن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: عُرف الإمام الحسن عليه السلام بجوده وكرمه. فهل لكم أن تعطونا مثالا لذلك؟

فأجاب سماحته بعد حمد الله تعالى والصلاة على النبي وآله الكرام، والتهنئة بالمولد المبارك للإمام الحسن عليه السلام: عاد أحد الحجاج وهو من خراسان في شمال إيران من مكة إلى المدينة فسرقته منه نفقته التي كان يحملها وأصبح ابن سبيل. وكان هذا الرجل تاجراً غنياً في بلده. فأخذ يجول في شوارع المدينة يطلب من يستدين منه نفقة العودة إلى بلده وهو يعيد المال لصاحبه. ورغم أن أهل المدينة كانوا يومها من التابعين وفيهم بقايا من الصحابة كبار السن، وهم تربية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لم يتكرم عليه أحد بشيء حتى ولو كان على نحو الدين. ثم نصحه أحدهم أن يذهب إلى دار الإمام الحسن عليه السلام فهو الجواد الذي يعطي بلا انتظار جزاء أو شكور. دخل الرجل دار الإمام فوجده يعطي درساً لجمع من الناس. وعرض عليه قضيته. فأمره الإمام بالانتظار ريثما ينتهي من درسه. ثم نهض الإمام عليه السلام ودخل بيته وحمل كيساً مملوءاً مالاً ووقف خلف الباب ونادى: أين الخراساني؟ فتقدم الرجل نحو الباب ومد الإمام يده من فوق الباب وناول الرجل كيس المال على نحو الهبة لا الدين. خرج الرجل ثم عاد الإمام إلى مجلسه فقال له بعض الحاضرين: يا بن رسول الله، لقد أعطيت الرجل مالاً جزيلاً لا يستحي من إعطائه الأثرياء. فلماذا بقيت خلف الباب وناولته المال من فوق الباب، ولم تخرج إليه؟ فقال الإمام عليه السلام: خفت أن أرى ذلَّ السؤال في وجهه. هذه الحادثة تعطينا درساً بليغاً في الأخلاق وكيفية التعامل مع الآخرين بأسلوب إنساني حضاري محترم. صحيح أن الإمام عليه السلام قد قضى حاجة الرجل بل وزيادة، إذ أعطاه ما يكفي للعودة إلى بلده وربما للعودة إلى الحج أكثر من مرة. لكن الإمام لم يتاجر بهذا العطاء مع الناس ولم يطلب بذلك ثناءهم. وإنما أبدى للرجل احترامه له، وحفظ له

ماء وجهه. وهذا الاحترام وحفظ ماء الوجه أهم من المال بدرجات عالية. وهو درس للناس كافة أن يتعاطوا مع الفقراء باحترام، وأن لا يتخذوهم وسيلة للدعاية والوجاهة الخاوية، مما يجبط أجرهم عند الله، ويفتح ألسنة الناس عليهم بوصفهم لهم بأنهم يراؤون في أعمالهم.

وتعقيباً على ما قاله عبر الإذاعة أضاف سماحته هذا المقطع للتزود من هذه القصة أكثر: هذا الدرس الرائع سنه للناس جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال لأصحابه يوم أطلق أسرى قبيلة طيء وفيهم سفانة بنت حاتم الطائي. فقال: {إرحموا عزيز قوم ذلّ وغنيّاً افتقر، وعالمماً ضاع بين جهال}. واحترام إنسانية الضعيف ومراعاة شعوره أهم من احترام فقره ومساعدته. حتى لا تتحول مساعدة الضعاف إلى هدر لكرامة الإنسان وإذلالاً له كما عبر الإمام عليه السلام.

موجز السؤال الثاني: لماذا صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية ولم يكمل مسيرة الحرب معه؟ بينما ثار أخوه الإمام الحسين عليه السلام في وجه يزيد وحارب في كربلاء واستشهد مع ثلة من أهل بيته وأصحابه؟

وملخص الجواب هو التالي: كان جيش الإمام الحسن عليه السلام رغم كثافته خليطاً من أنواع من البشر، إذ كان فيهم الخوارج ومن لهم هوى بمعاوية وبني أمية ومن هو من أهل المطامع في الدنيا والزعامة والمال ومن هو مغلوب على أمره، ومن أصحابه وثقة أبيه وهم قلة. إضافة إلى أن فيهم الجواسيس ومن كانوا قد اتفقوا مع معاوية بأن يسلموه الإمام الحسن لحظة لقاءهم به! واطلع الإمام على تلك الرسائل، كما أنه قتل اثنين من الجواسيس عند مروره بالمدائن، ثم عدا عليه الخوارج وأتباعهم في قرية قرب المدائن تسمى مظلم ساباط، فطعنوه بالخنجر وسلبوا ما وجدوه حتى سجادة صلاته سحبوها من تحته، وظنوا أنه مات وتركوه مضرجا بدمائه حتى جاء عامله على المدائن وأخذه إلى بيته وأتاه بالأطباء وعالجه. إضافة إلى خيانة قائد مقدمة جيشه التي أرسلها أمامه للقاء معاوية، وكان عددهم اثني عشر ألف جندي، فلما التقوا بمعاوية هرب قائد المقدمة عبيد الله بن العباس وهو ابن عم الإمام! مع ثمانية آلاف من جنود تلك المقدمة وجاؤوا إلى معاوية طمعا في عطاياها. قارن الإمام عليه السلام بين موقفين:

١. إما متابعة الحرب، ونتيجتها الحتمية أن يصبح الإمام أسيراً بيد معاوية يقتله بدم بارد، ويسجل التاريخ أن الإمام الحسن عليه السلام كان قائداً فاشلاً، سلمه جيشه لعدوه.

٢. وإما أن يلجأ إلى الصلح المؤقت مع معاوية ريثما يعود الحق إلى نصابه بعد موت معاوية كما نصت عليه وثيقة الصلح التي وقعها معاوية ثم مزقها في اليوم التالي وداس عليها بقدمه. أو أن يعمل على تربية جيل جديد يتعرف على جرائم النظام الأموي وتهتكه ويسعى إلى الثورة عليه لإزالته. وجد الإمام أن هذا هو الحل الأمثل، وهكذا كان. فإن جذور كربلاء أسسها الإمام الحسن عليه السلام وأتم نهجها أخوه الإمام الحسين عليه السلام بثورته المباركة التي زلزلت الكيان الأموي وهدمته بعد حين. إذ لولا كربلاء لكننا اليوم تحت حكم أحفاده بالصيغة التي نشأت عليه تلك الدولة، إن لم يكن بأسوأ منها. لذلك يمكننا القول إن الإمام الحسن عليه السلام هو مؤسس ثورة كربلاء وكان المنفذ لها أخوه الإمام الحسين عليه السلام. وهذا مصداق قول جدتهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقهما: {هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا} هذا إضافة إلى أن الإمام الحسين عليه السلام كان مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام يوم الصلح، ووقع مع أخيه على وثيقة الصلح، رغم كراهيتهما لذلك، لكن الظروف الرديئة وخيانة البعض وكراهية البعض الآخر لهما ولأبيهما بل ولجدتهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقلة أنصارهما آنذاك، وأنهم ضائعون في بحر من الأعداء في الداخل والخارج أجبرتهما على ذلك.

وأخيراً نلاحظ البون الواسع بين أناس تأمروا على الإمام الحسن عليه السلام وخانوه واتفقوا مع معاوية على تسليمه له ليقتله، وبين أناس بذلوا مهجهم ودماءهم بين يدي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء والذي قال الشاعر في حقهم:

قوم إذا نودوا لدفع ملامة
والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا
يتهافتون على ذهاب الأنفس

وهؤلاء هم تربية الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

السؤال الثالث: لو أن الأمر كان غير ما وقع، وأن الإمام الحسين كان صاحب السلطة يوم الصلح

أو أن الإمام الحسن كان في كربلاء فهل تتغير النتائج أم لا؟

وكان جواب سماحته: إن أئمة أهل البيت عليهم السلام كلهم من طينة واحدة، لعبوا أدواراً مختلفة تتناسب مع الظروف التي أحاطت بكل واحد منهم، فلو كان الإمام الحسين عليه السلام خليفة يوم الصلح وتحيط به الظروف نفسها لصالح معاوية، وقد وقع على الوثيقة مع أخيه كما قلت سابقاً. ولو أن الإمام الحسن عليه السلام كان في كربلاء لكان هو الشهيد الذي ترك حرارة في قلوب المؤمنين لا تهدأ أبداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وكان الهادم للنظام الجائر ولو بعد حين. وهو الذي مهد لكربلاء كما أسلفت. كذلك سائر أئمة الهدى فإن أيّاً منهم لو كان بعد كربلاء مباشرة لعلم الدنيا دروس الأخلاق والتربية الهادفة كما فعل الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام. وكذا لو كان أي منهم في ظروف الإمام الصادق عليه السلام لأفاض علمه على الناس وملاً دنيا المسلمين بعلوم جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولو كان أي منهم مكان الإمام الرضا عليه السلام لكان ولي عهد الخلافة الإسلامية أيام المأمون العباسي. ولو كان أي منهم هو الإمام الثاني عشر لكان هو المغيب صاحب الزمام والموكول إليه إقامة الدولة الإلهية ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. وباختصار هم طينة واحدة ولهم أدوار مختلفة.

السؤال الرابع: ذكرتم في حديثكم تسمية الإمام الحسن عليه السلام بأنه مظلوم، هل يمكن أن تبينوا

لنا وجه هذه المظلومية؟

الجواب: كانت مظلومية الإمام الحسن عليه السلام في عدة أمور، منها أنه ابتلي بجيش متفرق الأهواء وأكثره معادي له. ومنها أنه تسلم الخلافة سبعة أشهر ومع ذلك ظلمه التاريخ وعلماء المسلمين لأنهم لم يصنفوه. فلا هو من الخلفاء الراشدين كما يقولون، ولا هو من خلفاء الأمويين لأنه من بني هاشم. لذلك حذفت خلافته حتى عند العوام. ومن العجيب أن المؤرخ الشهير ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة) تحدث في سبع صفحات عن قصة غرامية سخيفة كانت بطلتها أرينب بنت

اسحاق ويزيد بن معاوية، بينما تحدث عن الإمام الحسن عليه السلام بنصف صفحة. ولا أدري ما شأن حكاية أرينب في الإسلام والدولة الإسلامية حتى تأخذ هذا الحيز من هذا الكتاب الصغير! ولماذا بجل على الإمام الحسن بهذا الشكل المريب!

وكذلك كيفية استشهاد الإمام بيد زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس بالسم بناء على طلب معاوية منها ذلك، وأنه وعدّها بخمس مائة ألف درهم وتزويجها من ابنه يزيد، ثم وفي لها بالمال ولم يزوجها ليزيد خوفاً منه على ابنه كما صرح بنفسه. كذلك حادثة منع دفن الإمام الحسن بجوار جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وغيرها من الحوادث، وتشكيك بعض من لا علم لهم ولا ثقافة بدور الإمام الحسن عليه السلام وتعاطيهم معه بما لا يليق. وأذكر الإخوة بأن بعض أمراء الأمويين والعباسيين لم يستقروا في الحكم إلا بضعة أيام أو بضع ساعات ومع ذلك لم يسقط المؤرخون خلافتهم وتحدثوا عنهم بالمطولات، بينما يمرون مرور الكرام على حكم سبعة أشهر للإمام الحسن عليه السلام بما فيها من الحوادث الجسام! أليس كل ذلك مما يزرع الأسف في النفوس على مظلومية أحد سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن عليه السلام!!!

وهذا ملخص ما تم تناوله في الحوار، على أمل الاستزادة من سماحته دائماً وفي كل المناسبات.

المكتب الإعلامي لسماحة العلامة الشيخ عبد المنعم الزين

دكار في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٤٠هـ. الموافق لـ ٢١ أيار ٢٠١٩ م.